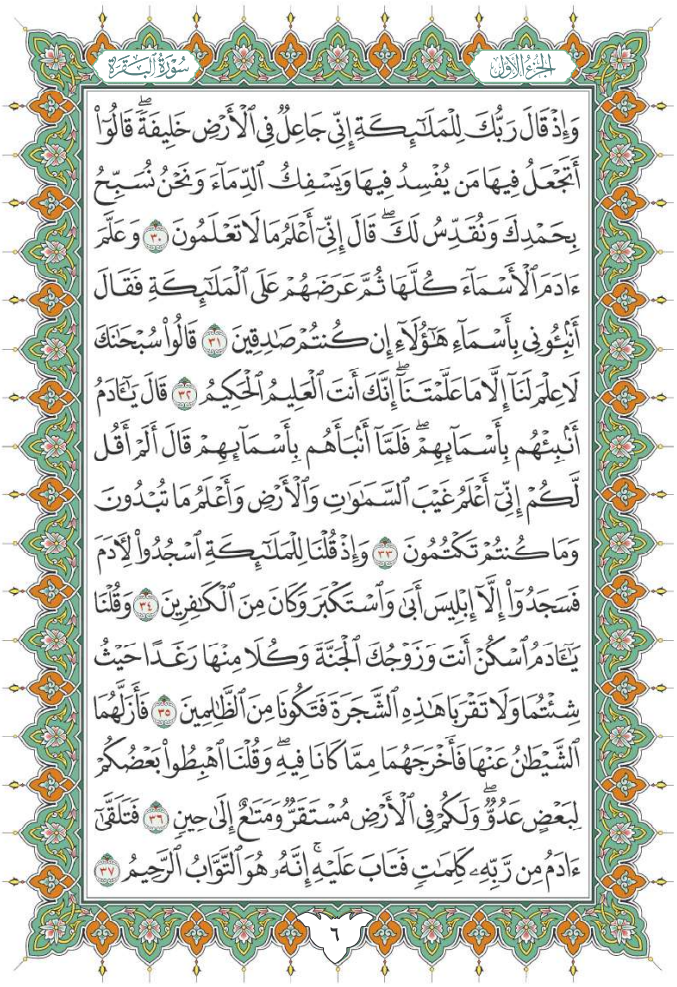

﴿٣٠﴾ - قال الله تعالى لملائكته: إنّي جاعل في الأرض من أُمكّنه فيها وأجعله صاحبَ سلطان، وهو آدم عليه السلام وبعده ذريّته، فقد استخلفهم تعالى في الأرض ليتعرّفوا إليه ويتعلّقوا بأسمائه ويتخلّقوا بها. فقالت الملائكة: أتجعل فيها من يفسد فيها بالمعاصي، ويسفك الدّماء بالعدوان والقتل -لما في طبيعة هذا المخلوق من شهوات-، بينما نحن ننزّهك عمّا لا يليق بعظمتك، ونحمدك ونمجّدك؟ فأجابهم ربّهم: إنّي أعلم ما لا تعلمون من المصلحة في ذلك.

﴿٣١﴾ - بعد أن خلق الله تعالى آدم عليه السلام وعلّمه أسماءه الحسنى وأسماء الأشياء وخواصّها، ليتمكّن في الأرض وينتفع بها، عرض الله هذه الأشياء على الملائكة وقال لهم: أخبروني بأسماء هذه الأشياء وخواصّها وبتجليّات أسماء الله فيها، إن كنتم صدقتم في ظنّكم أنّكم أحقّ بخلافة الأرض بسبب طاعتكم وعبادتكم.

﴿٣٢﴾ - عندما ظهر للملائكة عجزهم قالوا: إنّا ننزّهك يا ربّنا التّنزيه اللائق بك، ونقرّ بعجزنا وعدم اعتراضنا، فلا علم عندنا إلا ما وهبتنا إيّاه، وأنت العالم بكلّ شيء، الحكيم في كلّ أمر تفعله.

﴿٣٣﴾ - قال الله لآدم عليه السلام: يا آدم أَخْبِر الملائكة بهذه الأسماء وتجلّياتها في الأشياء، فأجاب عليه السلام، وأظهر فضله عليهم، وهنا قال الله مذكّرًا لهم بإحاطة علمه: ألم أقل لكم إنّي أعلم كلّ ما غاب في السّموات والأرض ولا يعلمه غيري، وأعلم ما تُظهرون في قولكم وما تُخفون في نفوسكم؟

﴿٣٤﴾ - واذكر - يا أيّها النّبيّ - حين قلنا للملائكة أن اخضعوا لأمري واسجدوا لآدم تحيّةً له وإقرارًا بفضله، فأطاع الملائكة كلّهم إلا إبليس، امتنع عن السّجود وصار من العاصين والكافرين بنعم الله وحكمته وعلمه.

﴿٣٥﴾ - أمر الله جلّ جلاله آدم عليه السلام وزوجه أن يعيشا في جنّة النّعيم فقال له: اسكن أنت وامرأتك الجنّة وكلا منها ما تشاءان أكلًا هنيئًا طيّبًا وافرًا من أيّ مكان ومن أيّ ثمر تريدان، ولكنّ الله ذكر لهما شجرة معيّنة وحذّرهما من الأكل منها قائلًا: لا تدنُوا من هذه الشّجرة ولا تأكلا منها، وإلا كنتما من الظّالمين العاصين.

﴿٣٦﴾ - ولكنّ إبليس الحاسد لآدم عليه السلام والحاقد عليه، أخذ يحتال عليهما ويغريهما بالأكل من الشّجرة حتى زلّا فأكلا منها نسيانًا، فأخرجهما الله ممّا كانا فيه من النّعيم والتّكريم، وأمرهما بالنّزول إلى الأرض ليعيشا هما وذريّتهما فيها، ويكون بعضهم لبعض عدوًّا بسبب المنافسة وإغواء الشّيطان، ولهما في الأرض مكان استقرار وتيسير للمعيشة، ومتّع ينتهي بانتهاء الأجل.

﴿٣٧﴾ - أحسّ آدم وزوجته بخطئهما وظلمهما لأنفسهما، فألهم الله تعالى آدم عليه السلام كلمات يقولها للتّوبة والاستغفار، فقالها، فتقبّل الله منه وغفر له لأنّه تعالى كثير القبول للتّوبة، وهو الرّحيم بعباده الضّعفاء.

الآية 30 - 35

استخلاف الإنسان في الأرض

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

أسباب النزول والمناسبة

تُمثّل هذه الآيات محاورة بين الله تعالى وملائكته تهدف إلى إبراز المعاني لنعقلها عبر صور محسوسة، وذلك لتقريب الفهم للناس، وفيها يظهر تكريمُ الله سبحانه وتعالى للإنسان، من خلال اختياره لآدم عليه السلام خليفة في الأرض، وتعليمه أسماء الله الحسنى وأسماءَ كُلِّ شيءٍ واللُّغات الّتي لا تعرفها الملائكة. وهذا التكريم يوجب الإيمان بالخالق الكريم، إذ لا يليق بالإنسان أن يكفر أو أن يعاند بعد هذا التكريم الكبير، ونجد في هذه الآيات أيضًا استمرارًا في توبيخ الكافرين، وتذكيرهم بنعم الله عليهم.

المعنى العام

عندما تقرأ في القرآن الكريم قول الله تعالى للنّبيّ ﷺ لفظ: ﴿رَبُّكَ﴾ يُشير بالتّكريم والتشريف والتّوقير إذِ الخطاب لسيّدنا محمّد ﷺ، فكلّما يذكر الله تعالى كلمة ﴿رَبُّكَ﴾ يذكر فيها أيضًا النّبيّ ﷺ.

قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾ خطاب عجيب يخصّ الله تعالى النّبيّ ﷺ بهذه الميزة. لذا لمّا سُئلوا من الأكثر ذكرًا بالقرآن الكريم: منهم من قال: سيّدنا موسى عليه السلام، ومنهم من قال سيّدنا محمّد ﷺ. ذُكر بأكثر من ٥٥٠ آية بخطاب مباشر: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾(١)، ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾(٢)، ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ﴾(٣)، هذا خطاب مباشر للنّبيّ ﷺ، وكان ذلك تعظيمًا لشأنه ﷺ.

هذه الآيات كانت سببًا لاعتناق أحد النّصارى (Jeffrey lang) الإسلام في أميركا، إذ كان يسأل الرّهبان عن سبب خلق الإنسان وكيف يرضى الله بالظّلم والحروب وسفك الدّماء وما إلى ذلك... فكان الجواب دائمًا بأنّ هذه الأمور غيبيّة ولا يجوز الخوض فيها، إلى أن انتقل ذات يوم إلى منزل كان يسكنه أحد المسلمين وقد ترك فيه مصحفًا مترجمًا مَعانيه إلى اللغة الإنكليزيّة فلمّا قرأه استوقفه قول الله تعالى: ﴿وإذْ قالَ ربُّكَ﴾ فتعجب قائلًا: حتّى الملائكة تسأل! فعلم أنّ أسئلته مشروعة وازداد شغفه بقراءة القرآن حتّى أسلم، وألّف كتابًا بعنوان: حتّى الملائكة تسأل.

يذكر الله تعالى منّته على سيدنا آدم وتشريفه لذريّته، وذلك بذكرهم في الملأ الأعلى قبل إيجادهم، إذ لمّا أراد الله تعالى عمارة الأرض بعد أن عمّر السّماوات بالملائكة، أخبر الملائكة بما هو صانع، فقال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾

(١) سورة الشَّرح، الآية: ١. (٢) سورة الضُّحى، الآية: ٣. (٣) سورة الأنفال، الآية: ١.

يخلفني في أرضي وينفّذ أحكامي- ولله المثل الأعلى فخليفة الرّجل أولاده وما يأخذون عنه من طباعه وسلوكه وصفاته وعلومه...- ﴿قَالُوا﴾ على وجه الاستفهام أو الإدلال بعد أن رأوا الجنّ- وهم أوّل من سكن الأرض- قد أفسدوا وسفكوا الدّماء: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ بينما شأن الخليفة عادة الإصلاح، ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ أي نحن نطهّر أنفسنا لعبادتك، وننزّه ذكرك، ونطهّره عن ما لا يليق به. ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ ونعظّمك ونطهّر أنفسنا لأجلك، أو ننزّهك عمّا لا يليق بجلال قدسك، فنحن أحقّ بالخلافة منهم، إذ قاست الملائكة هؤلاء بأولئك. قال الحقّ ﷻ: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ إنّي أعلم أنّه سيكون منهم رسل وأنبياء وأولياء وصدّيقون وعبّاد وزهّاد وأبرار ومقرّبون... ومن سيكون مثلكم أو أعظم منكم، إذ لمّا ألقي الخليل في النّار ضجّت الملائكة وقالت: "يا ربّ هذا خليلك يحرق بالنّار". فقال لهم: **"إن استغاث بكم فأغيثوه"**. فلمّا رفع همّتَه عنهم، قال الحقّ تعالى: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ثمّ وَجَّهَ الحقّ تعالى أنّ سبب استحقاقه للخلافة وهو تشريفه بالعلم، فقال: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾، أي مسمّيات الأسماء بأن ألقى في رُوعه ما تحتاج إليه ذريّته من جميع اللغات والحروف، وخواصّ الأشياء ومنافعها وتجلّيات أسماء الله فيها، علمًا أنّ الله تعالى خلق الإنسان محتاجًا إلى كلّ شيء- جميع المخلوقات -لأنّه بحاجة إلى معرفة تجلّيات أسماء الله تعالى فيها كي يتعرّف إلى الله في كلّ شيء. فالإنسان دون غيره من المخلوقات مفتقر ومحتاج إلى جميع أسماء الله تعالى- على عكس المخلوقات الأخرى، قال الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾[1]، وبالتّالي هو المخلوق الوحيد القادر على التّعلق والتّخلق بأسماء الله تعالى، وذكر لفظ الجلالة الحاوي لجميع الأسماء- فالله تعالى أحوجك أيّها الإنسان للحوائج كي تلتجئ إليه، فمن ابتُلي ببلاء ولم يفرّ إلى الله ابتداءً بالدّعاء قبل تعاطي الأسباب، فما فهم الحكمة من إصابته بهذا البلاء. وقلّما يُصرف البلاء إذا لم يتوجّه العبد بالدّعاء. - إلهي ماذا وجد من فقدك وماذا فقد من وجدك!- ثمّ عرض تعالى تلك المسمّيات على الملائكة، إظهارًا لعجزهم، وتشريفًا لآدم بالعلم. ﴿فقال﴾ أخبروني ﴿بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ﴾ المسمّيات ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ في ادّعائكم استحقاق الخلافة.

﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

فلمّا عجزوا عن معرفة تلك الأسماء ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾ أي: تنزيهًا لك عن العبث، ﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ﴾ بكلّ شيء، ﴿الْحَكِيمُ﴾ لإتقانك كلّ شيء، وهذا اعتراف منهم بالقصور والعجز، وإشعار بأنّ سؤالهم كان استفهامًا وطلبًا لتفسير ما أشكل عليهم، ولم يكن اعتراضًا بل تقديسًا وتنزيهًا من الملائكة لله تعالى أن يحيط أحد بشيء من علمه إلّا بما شاء، وأنّهم لا يعلمون شيئًا إلا ما علّمهم الله تعالى.

يقول الحقّ ﷻ: ﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ﴾ وعيّن لهم اسم كلّ مسمّى، فلمّا أخبرهم بذلك، حيث قال مثلًا: هذا فرس وهذا جمل. وعيّن ذلك لهم، وظهرت ميزته عليهم بالعلم حتّى استحقّ الخلافة، قال الحقّ تعالى: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي ما غاب، وأعلم ما تظهرونه من قولكم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا﴾ وما تكتمونه من ظنّكم باستحقاقكم الخلافة، وقولكم: لن يخلق ربّنا خلقًا إلّا كنّا أعلم منه وأكرم لتقدّمنا، ولكنّ الفضل لمن صدق

(١) سورة فاطر، الآية: ١٥.

لا لمن سبق- وعرفوا أنّ الله فضّل عليهم آدم في العلم والكرم، ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ أعلم مع علمي غيب السّماوات والأرض، ما تظهرونه بألسنتكم وما كنتم تخفون في أنفسكم، فلا يخفى عليَّ شيء، سواء عندي سرائركم وعلانيتكم، فكان في علم الله أنّه سيكون من ذاك الخليفة أنبياء ورسل وقوم صالحون ساكنو الجنّة.

لطائف الإشارات للسّلوك والتّزكية في الآيات

ما يستخلص من الآيات

في العقيدة

١. اعلم أنّ هذه الآيات تدلّ على شرف الإنسان، ومزيّة العلم وفضله على العبادة، وأنّه شرط في الخلافة بل العمدة فيها، فالعبرة بالعلم بالله، وركعتان من عارف (بالله وبأسمائه) خيرٌ من قيام الليل كلّه من عابد.

٢. شرف آدم على جميع ما خلق الله تعالى- العرش والكرسيّ والسّموات والأرض- حتّى الملائكة بما اختصّه به من علم الأسماء دونهم، والذي يعلمُ أفضل لقوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾[1].

٣. إنّ أصل اللُّغات توقيفيّة، علّمها الله تعالى لآدم عليه السلام بالوحيّ، علّمه أسماء الأشياء كلّها وصفاتها وأفعالها وتجلّيات أسماء الله الحسنى فيها.

٤. قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ﴾ قال زيد بن أسلم: قال: أنت جبرائيل، أنت ميكائيل، أنت إسرافيل، حتّى عدّ الأسماء كلّها حتّى بلغ الغراب.

٥. الإنسان الأصمّ يكون عادة أخرس، فَمَنْ علّم الإنسان البيان- الكلام-؟

٦. قال الإمام القشيريّ رحمه الله في تفسيره لآية: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَـؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾﴾ قال: إنَّ عموم قوله "الأسماء" يقتضي الاستغراق، واقتران قوله سبحانه "بكلّها"- يوجب الشّمول والتّحقيق، وكما علّمه أسماء المخلوقات كلّها، علّمه أسماء الحقّ سبحانه، ولكن إنّما أظهر لهم محلّ تخصّصه في علمه أسماء المخلوقات، وبذلك المقدار بانَ رجحانه عليهم.

٧. استدلّ الإمام القرطبيّ وغيره بهذه الآية على وجوب نصب الخليفة ليفصل بين النّاس فيما اختلفوا فيه، ويقطع تنازعهم وينتصر لمظلومهم من ظالمهم، ويقيم الحدود ويزجر عن تعاطي الفواحش، إلى غير ذلك من الأمور المهمّة التي لا يمكن إقامتها إلا بوجود إمام، وما لا يتمّ الواجب إلا به فهو واجب.

حقيقة الملائكة وصفاتهم:

الملائكة أجسام نورانيّة لطيفة لا نراها، وهي قادرة على التّشكّل، لا يوصفون بذكورة ولا بأنوثة، لا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون ولا يتزاوجون ولا يتكاثرون، وهم منقسمون إلى قسمين: قسم شأنهم الاستغراق في معرفة الحقّ والتّنزّه عن الاشتغال بغيره - وهم العليّون، والملائكة المقرّبون - وقسم يدبّرون الأمر من السّماء إلى الأرض على ما ثبت به القضاء وجرى به القلم الإلهيّ، وهم المدبّرات أمرًا، فمنهم سماويّة، ومنهم أرضيّة.

(١) سورة الزمر، الآية: ٩.

ومن صفاتهم الواردة: الطّاعة لله تعالى، ومبادرتهم لامتثال أمره، وهذا معنى عصمتهم عن المعاصي: وقد وصفهم الله ﷻ بأنّهم لا يستكبرون عن عبادته ولا يعصون الله فيما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون دون اعتراض أو ملل؛، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾. وقول الملائكة هذا ليس على وجه الاعتراض على الله، ولا على وجه الحسد لبني آدم كما قد يتوهّمه بعض المفسّرين، وقد وصفهم الله تعالى بأنّهم لا يسبقونه بالقول: أي لا يسألونه شيئًا لم يأذن لهم فيه، وهذا لمّا أعلمهم بأنّه سيخلق في الأرض خلقًا، قال قتادة: وقد تقدّم إليهم أنّهم يفسدون فيها ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾، وإنّما هو سؤال استعلام واستكشاف عن الحكمة في ذلك، يقولون: يا ربّنا ما الحكمة في خلق هؤلاء مع أنّ منهم من يفسد في الأرض ويسفك الدّماء، فإن كان المراد عبادتك فنحن نسبّح بحمدك ونقدّس لك، أي: نصلّي لك ولا يصدر منّا شيء من ذلك، فَهَلّا وَقَعَ الاقتصارُ علينا؟

س لماذا اختارَ اللهُ تعالى الإنسانَ ليكونَ خليفَتَهُ في الأرضِ؟

ج قال الله تعالى: ﴿وإذ قالَ رَبُّكَ للملائِكَةِ إنّي جاعِلٌ في الأَرْضِ خَليفَةً قالوا أَتَجْعَلُ فيها مَنْ يُفْسِدُ فيها ويَسْفَكُ الدِّماءَ ونَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ ونُقَدِّسُ لكَ قالَ إنّي أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمونَ ﴿٣٠﴾﴾.

عَرَفتِ الملائكةُ أنّ هذا الإنسانَ مَخلوقٌ مِن جَسَدٍ مادّيٍّ ورُوحٍ، وأنّه إذا طغى جسدُهُ على رُوحِه؛ فسيَطغى ويُفسِدُ في الأرضِ ويَسْفِكُ الدِّماء. حَتّى إنَّ المَلائِكَة تَعَجَّبَتِ مِن اختيارِ اللهِ تعالى الإنسانَ ليكونَ خليفةً له في الأرضِ، ومِن عدمِ اختيارِه الملائكة المخلوقة مِن الرُّوحِ. فالملائكةُ ليس لهم شهواتٌ ماديّةٌ، ولا يَعصُونَ اللهَ أبدًا، ولا يكونُ منهم فسادٌ أو أذى.

وقد أجابَهم اللهُ تعالى عن سؤالِهم هذا، وَأَرَاهُمْ عِدّةَ أشياءَ مختلِفةً ممّا خَلَق فقال سبحانه: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾﴾.

سألَهم اللهُ تعالى قراءةَ مخلُوقاتِهِ بأسمائِهِ الحسنى، ﴿قالوا سُبْحانَكَ لا عِلْمَ لَنا إلّا ما عَلَّمْتَنا إنَّكَ أَنْتَ العَليمُ الحَكيمُ﴾، مثلًا: ما هو اسمُ اللهِ تعالى المتجلّي في المرضِ؟ أو ما هو اسمُ اللهِ تعالى المتجلّي في الشّفاءِ؟ أو في الجوعِ؟ أو في الشّبَعِ؟ أو في الغضبِ؟ أو في الحِلمِ؟ أو في قضاءِ الحوائجِ؟ أو في الشّمسِ؟ أو في القمرِ؟ أو في البحرِ؟ أو في الطّيرِ؟ أو في الشّجرِ؟ أو...؟ فلَم تُعْطِ الملائكةُ لذلكَ أجوبة!

وعَلَّمَ اللهُ تعالى سيّدَنا آدمَ عليه السلام الأسماءَ كلَّها فقال سبحانه: ﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ ﴿٣٣﴾﴾، علَّمه ربُّه أَسْمَاءَ المَخْلُوقَاتِ كُلِّها المُشْتَقّةِ عَنْ أَسْمَاءِ اللهِ الحُسْنى؛ فصارَ يُخبِرُهُمْ عن كُلِّ مخلوقٍ عرَضَه اللهُ عليه باسمِه واسمِ اللهِ تعالى المتجلّي فيه.

فعَلِمتِ الملائكةُ سِرَّ اجتماعِ الجسدِ بالرُّوحِ، المُسَمّى بالإنسانِ. صحيحٌ أنّ جَسَدَ الإنسانِ إذا طغى على الرُّوحِ أفسدَ وسفكَ الدِّماءَ، ولكن إذا أسلمَ هذا الإنسانُ وجهَهُ لله تعالى حقًّا تجلّى اللهُ تعالى عليهِ باسمِهِ السّلام؛ فانسجمتْ رُوحُهُ معَ جسدِه وتناغمَتْ؛ فكان منهما هذا السِّرُّ العجيبُ المؤهَّلُ لتَعلُّمِ أسماءِ اللهِ الحسنى، والتّخلُّقِ بها، ومعرفةِ اللهِ ﷻ.

فالإنسانُ - دونَ غَيْرِه مِن المخلوقاتِ- اختارهُ اللهُ تعالى؛ ليكونَ خليفةً لهُ في الأرضِ.

ومِن ثمّ نَفْهَمُ سَبَبَ نزولِ أَوَّلِ آيَةٍ على قَلْبِ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾[1].

أي: **اِقرأ بأسْمَاءِ اللهِ الحُسْنى كلَّ ما تراهُ مِن خَلْقِ اللهِ**؛ فكلُّ ما تراهُ يُعرّفُكَ باللهِ، ويَدلُّكَ عليه، ويُقَرِّبُكَ إليه! وهذه هي مهمّةُ الأنبياءِ، خُلفاءُ اللهِ في الأرضِ، أن يَدُلّوا النّاسَ على اللهِ، ويعلّموهم كيف يَقرؤونَ بأسماءِ اللهِ مخلوقاتِ اللهِ تعالى، وكُلِّ ما يتعرَّضُونَ له مِن أحوالٍ وحوادِثَ. فكلُّ شيءٍ يحدثُ معهم يزيدُهم باللهِ تعالى معرفةً وحُبًّا وتعلُّقًا وتخلّقًا. **فالتّعلّق** بالاسم هو علاقة العبد بربّه، **والتّخلّق** به هو علاقة العبد بالمخلوقات. والأشياء ليست مقصودة لذاتها ولكن لأنّها مظهرُ تجلّيات أسماء الله الحسنى. فمن فاته تعلّم أسماء الله الحسنى وتعلّقه وتخلّقه بها فقد تاه وضلّ عن الهدف الذي خُلق لأجله.

س ما معنى قَولِهِ تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾؟ وما مَصْدَرُ أسماءِ الأشياءِ في الوجود؟

ج عَلَّمَ اللهُ تعالى سيّدنا آدم عليه السلام الأسماء كلّها، وعلّمه كيفيّةَ اشتقاقِ أسماءِ الأشياءِ من أسماءِ اللهِ تعالى الحسنى وعلّمه البيان؛ فقد شقّ اللهُ تعالى مثلًا اسْمَ الإسلام من اسمه تعالى السّلام، وَاسْمَ الإحسان من اسمه تعالى المحسن وَاسْمَ الرّحِمِ مِنِ اسْمِهِ تعالى الرَّحمن.

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ رسول الله ﷺ يَقولُ: **«قَالَ اللهُ عز وجل: أَنَا الرَّحْمَنُ، خَلَقْتُ الرَّحِمَ، وَشَقَقْتُ لَهَا اسْمًا مِنِ اسْمِي، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَتُّهُ»**[2].

ومن الاسمين العظيمين "الرّحمن والرّحيم" اشتُقَّتِ الرّحمةُ، والرّزْقُ من اسمه الرَّزّاقِ، والعِلْمُ من اسْمِهِ العليم، والجلالُ مِنِ اسْمِهِ: الجَليلِ والهِدايَةُ مِنِ اسْمِهِ الهادي والعِزُّ مِنْ اسْمِهِ المُعِزِّ والذُّلُّ مِنِ اسْمِهِ المُذِلِّ والعَطاءُ من اسْمِهِ المُعْطِي والمَنْعُ مِنِ اسْمِهِ المانِع وهَكَذا...

وهذا العِلْمُ مِنْ أَسْبابِ خَلْقِ الإنْسانِ ومِنْ أسْبابِ تشريفِهِ بسجودِ الملائكةِ لأبيه سيّدِنا آدمَ عليه السلام، قال اللهُ تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾[3].

وهكذا نستقي من تعليم اللهِ تعالى أسماءه لسيّدنا آدم عليه السلام أنَّ المقصودَ من خَلْقِكَ أيُّها الإنسانُ هو التعرُّفُ إلى اللهِ تعالى من خلال التَعرُّفِ إلى أسمائِه الحُسْنى وصفاتِه العُلَى. وهذا التعرّفُ يكون من خلال اسم الله تعالى الرَّحمن، فكيف عَرَّفَكَ على أسمائه الحُسْنى بتعليمِكَ القرآن، فقد علّم القرآن قبل أن يَخْلُقَ الإنسانَ؛ كما قال تعالى في سورةِ الرَّحمن: ﴿الرَّحْمَنُ* عَلَّمَ الْقُرْآنَ* خَلَقَ الإِنسَانَ* عَلَّمَهُ البيان﴾[4] فالله هُو الّذي أَهَلَّ روحَكَ لِهَذا العِلْمِ الجَليل.

فالمخلوقات جميعها هي من مظاهر تجليّاتِ أسماءِ اللهِ الحُسنى في هذا الكون، فالجبالُ مثلًا من مظهر تجلّياتِ اسم الله تعالى القَويّ المتين، والسَّماءُ مَظْهَرٌ لاسْمِهِ تعالى العليّ اللطيفِ، والماء مَظْهَرٌ لاسمِهِ تعالى المُحْيِي، والعَرْشُ مَظْهَرٌ لاسْمِهِ العظيم، وكُلُّ جَمالٍ في الكون مَظْهَرٌ لاسْمِهِ الجَميلِ والأَمْنُ والأَمانُ مَظْهَرٌ لاسْمِهِ المُؤمِنِ وَهكذا...

من أسماء الله الحسنى: العليم

شرح اسم الله تعالى العليم: وهو المبالغة في العلم. فإنّ للعلم طُغيانًا أعظم من طُغيان المال، فالعلم يحفظك وأنت تحفظ المال، والمال يَنْقُصُ بالإنفاق منه والعلم يزداد بالإنفاق، فإيّاك أن تفتخر بعلمك أو تتكبّر، فترى أنّك نلته

(١) سورة العلق، الآية: ١.

(٢) رواه البيهقي في السُّنن الكبرى، عن عبد الرحمن بن عوف، كتاب: قسم الصّدقات، باب: الرّجل يقسم صدقته على قرابته وجيرانه، حديث رقم: ١٣٢١٥.

(٣) سورة الحجر، الآية: ٢٩.

(٤) سورة الرّحمن، الآيات: ١-٤.

بحولك وقوّتك، ومن تعلّم العلم طالب نفسه أوّلًا بالعمل ثمّ نصح وعلّم.

التّعلّق باسم الله تعالى العليم:

- الاستخارة في كلّ شأن والعمل بمُقتضاها، فأنت لا تعلم الغيب، لذا عليك أولًا أن تستشير قلبك وأهل العلم ثمّ تصلّي ركعتيّ استخارة تدعو بعدها بالدّعاء المأثور.
- وأن تستحي أن يراك الله حيث نهاك، فهو يعلم ما تُخفي وما تُعلن.
- الرّضا بقضاء الله وقدره، واعلم أنّ الله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1].

من أسماء الله الحسنى: الحكيم

شرح اسم الله الحكيم:

- هو الذي يضع الشيء في موضعه.
- هو الذي يفعل ما ينبغي على النّحو الذي ينبغي في الوقت الذي ينبغي.
- هو العالم بالأشياء على ما هي عليه، والآتي بالأفعال على ما ينبغي أن تكون عليه وهو الذي تُستمدّ الحكمة منه.
- هو المُقدّس - المنزّه- عن فعل ما لا ينبغي.
- هو الذي ليس له أغراض وليس على فعله اعتراض لأنّه غنيٌّ عن كلّ شيء.
- هو الذي لا يقول ولا يفعل إلا الصّواب، فأفعاله سديدة وصُنْعُهُ متقن.
- هو المُحكم لخلق الأشياء أي خلق كلّ شيء وأتمّه. وهو إتقان التّدبير وإحسان التّقدير. مع هذا ليس المطلوب أن يخلق الله سبحانه وتعالى لك كلّ شيء جميل، فكلّ شيء خلقه اللهُ جميل من حيث الحكمة. فالحكيم هو الذي خلق ما ينبغي وصوّره على النّحو الذي ينبغي وأخرجه في الوقت الذي ينبغي، والمقصود منه أن تتعرّف إلى أسماء الله تعالى.

التّعلّق باسم الله الحكيم:

- بأن تثق بأنّه ما أمرك بأمرٍ إلّا وفيه خيرٌ لك في دنياك وفي أُخراك وما نهاك عن شيء إلّا وفيه شرّ في دنياك وأُخراك، سواءٌ عرفت الحكمة أم لم تعرفها. قال الله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ، وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[2].
- بأن تثق به وبوعده وبحكمته في الأحكام وفي القضاء والقدر، وأنّ الله لو كشف لك الغطاء وأراك حقيقة الأمر لما اخْتَرْتَ إلّا ما اختاره اللهُ لك، مِنْ هذا المرض وهذا البلاء وهذا العدوّ، فتعيش راضيًا. ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[3].

في الأمر والنّهي

العمل بالآيات: ضع لنفسك جدولًا تتعلّم فيه أسماء الله الحسنى وكيفيّة التّعلق والتّخلّق بها ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾﴾.

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٦. (٢) سورة البقرة، الآية: ٢٦٩. (٣) سورة البقرة، الآية: ٢١٦.

القاعدة الفقهيّة: الأصل في الأشياء الإباحة. فكلّ ما على الأرض من مطاعم ومشارب وملابس ومراكب حلال إلّا ما ورد حرمته في نصّ من القرآن أو السّنّة، لقوله: ﴿خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأرض جَمِيعًا ﴿٢٩﴾﴾.

في الأخلاق والآداب

التّخلّق باسم الله العليم:

- بأن تكونَ: مُحبًّا للعِلْمِ النّافِعِ وَللعُلَماءِ.
- أن تطلبَ العِلْمَ مِنَ المَهْدِ إلى اللحْدِ، فكُن عالِمًا أو مُتَعَلّمًا، واحرِصْ في كُلّ يومٍ على أن تزدادَ عِلْمًا. وأن تحاولَ ربط ما تَتَعَلَّمُهُ بِأسماءِ الله تعالى.
- أن تزدادَ بالله تعالى مَعْرِفَةً وبمعاني لا إله إلّا الله يقينًا كما قال تعالى: ﴿فاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ...﴾[1].
- قال ﷺ: «إذا أتى عليّ يومٌ لا أزدادُ فيه علمًا فلا بورك في طلوع شمسِ ذلك اليوم»[2]. فأنت مُطالب بأن تتعلّم وتُعلّم إلى آخر لحظة في حياتك.
- أن تتمكّن من علم الشّريعة، وعلم الطّريقة، وتتبحّر في علم الحقيقة؛ ذوقًا، وحالًا، ومقامًا، فحينئذ تكون من ورثة الأنبياء عليهم السلام، قد حزت الوراثة كلّها. وقال ﷺ: «خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه»[3].

التّخلّق باسم الله الحكيم:

- بأن تكون حكيمًا في أقوالك وأفعالك، وجميع أمورك.
- بأن تَنظُرَ في عواقِبِ الأُمورِ وأنّكَ إذا كَرَّرْتَ ما فَعَلَهُ غيرُكَ فستُواجِهُ النّتيجَةَ نفسَها الّتي واجَهَها. فانظُرْ أينَ وَكيفَ نَجَحَ الآخرونَ لِتَنْجَحَ؛ وَانْظُر ما هي أسبابُ فَشَلِ الآخرينَ وتعثُّرِهم لِتَتَجَنَّبَهُ.
- بأن تتّبع الحِكَمَ في القرآن والسُنّة وتمشي عليها.

الحكمة: إحالتك الأعمال على وجود الفراغ؛ من رعونات النّفس[4].

تأجيل القيام بالأعمال بانتظار توفّر الوقت الكافي يُعدّ من علامات ميل النّفس إلى التسويف والكسل.

التوجيهات:

- اطلب العلم النافع دائمًا، فقد رفع الله آدم عليه السلام فوق الملائكة بعلمه بالأسماء، وخاصّة العلم بأسماء الله وصفاته.
- اعمل على نشر أسماء الله في الكون، وعلّم عباد الله معرفة أسمائه.
- عظّم نبيّنا محمّدًا ﷺ، فقد شُرِّف بالخطاب المباشر في أكثر من خمسمائةٍ وخمس وخمسين آية في القرآن الكريم.

(١) سورة فصلت، الآية: ١٩.
(٢) رواه الطّبرانيّ في المعجم الأوسط، عن عائشة- رضي الله عنها-، باب: الميم، من اسمه أحمد، حديث رقم: ٦٦٣٦.
(٣) رواه البخاري في صحيحه، عن عثمان بن عفان، كتاب: فضائل القرآن، باب: خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه، حديث رقم: ٥٠٢٧.
(٤) ابن عطاء الله السكندري.

في السّلوك

الإشارة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾

هذا ابتداء إظهار سِرّه في آدم وذرّيته. أَمَرَ حتى سلَّ من كلّ بقعة طينة، ثمّ أمر بأن يخمّر طينه أربعين صباحًا، وكلّ واحد من الملائكة يفضي يُبدي: ما حكم هذه الطّينة؟ فلمَّا ركّب صورته لم يكونوا قد رأوا مثلها في بديع الصّنعة وعجيب الحكمة، فحين قال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأرض﴾ تَرَجَّمَتْ الظّنون، وتقسَّمت القلوب، وتجنَّت الأقاويل، وكان كما قيل:

كَمْ أَبْصَرَتْ مِنْ حُسْنٍ وَلَكِنْ ... عَلَيْكَ مِنَ الوَرَى وَقَعَ اخْتِيَارِي

- ويقال إنّ الله سبحانه وتعالى خلق ما خلق من الأشياء ولم يَقُلْ في شأن شيء منه ما قاله في حديث آدم عليه السلام حيث قال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأرض خَلِيفَةً﴾، فظاهر هذا الخطاب يشبه المشاورة لو كان من المخلوقين، والحقّ سبحانه وتعالى خلق الجنان بما فيها، والعرش بما هو عليه من انتظام الأجزاء وكمال الصّورة، ولم يقل إنّي خالق عرشًا، أو جنّة، أو مَلَكًا، وإنّما قال تشريفًا وتخصيصًا لآدم عليه السلام: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأرض خَلِيفَةً﴾.

- ويقال استخرج الحقّ سبحانه من الملائكة ما استكنَّ في قلوبهم من استعظام طاعاتهم والملاحظة إلى أفعالهم بهذا الخطاب؛ فأفصحوا عن خفايا أسرارهم بقولهم: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾. ثمّ إنّ الحقّ سبحانه عرَّفهم أنّ الفضيلة بالعلم أتمُّ من الفضيلة بالفعل، فهم كانوا أكثر فعلًا وأقدمه، وآدم كان أكثر علمًا وأوفره، فظهرت فضيلته ومرتبته.

- ويقال لم يقل الحقّ سبحانه أنتم لا تفسدون فيها ولا تسفكون الدّماء بل قال: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، مِنْ غفراني لهم.

- ويقال: في تسبيحهم إظهارُ فعلهم واشتهار خصائصهم وفضلهم، ومن غفرانه لمعاصي بني آدم إظهار كرمه سبحانه ورحمته، والحقّ سبحانه غنيّ عن طاعات كلّ مطيع، فلئن ظهر بتسبيحهم استحقاق تمدّحهم ثبت بالغفران استحقاق تمدّح الخالق سبحانه.

- ويقال ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من صفاء عقائد المؤمنين منهم في محبّتنا، وذكاء سرائرهم في حفظ عهودنا وإن تدنَّس بالعصيان ظاهرهم، كما قيل:

وَإِذَا الحَبِيبُ أَتَى بِذَنْبٍ وَاحِدٍ ... جَاءَتْ مَحَاسِنُهُ بِأَلْفِ شَفِيعِ

- ويقال إنّي ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من محبّتي لهم، وأنتم تظهرون أحوالكم، وأنا أخفي عليهم أسراري فيهم، وفي معناه أنشدوا:

مَا حَطَّكَ الوَاشُونَ عَنْ رُتْبَةٍ ... عِنْدِي، وَلَا ضَرَّكَ مُغْتَابُ
كَأَنَّهُمْ أَثْنَوْا - وَلَمْ يَعْلَمُوا - ... عَلَيْكَ عِنْدِي بِالَّذِي عَابُوا

- ويقال ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من انكسار قلوبهم وإن ارتكبوا قبيح أفعالهم، وصولةَ قلوبكم عند إظهار تسبيحكم

وتقديسكم، فأنتم في رتبة وفاقكم وفي عصمة أفعالكم، وفي تجميل تسبيحكم، وهم مُنْكَرون عن شواهدهم، متذللون بقلوبهم، وإنّ لانكسار قلوب العباد عندنا لذمامًا قويًّا- قيل إنّ الملائكة تتنزّل ليلة القدر ويوم عرفة لتشهد عبادة لا وجود لها في السّماء (البكاء والاستغفار والنّدم والتّذلل والانكسار)، فالتّذلل هو أعظم القربات إلى الله تعالى.

- ويقال أيّ خطر لتسبيحكم لولا فضلي، وأيّ ضرر من ذنوبهم إذا كان عَفْوي؟ ويقال لبَّسْتُكم طاعتكم ولبَّستهم رحمتي، فأنتم في صدار طاعتكم وفي حُلَّةِ تقديسكم وتسبيحكم، وهم في تغمّد عفوي وفي ستر رحمتي ألبستهم ثوب كَرَمي، وجللتهم رداء عفوي.
- ويقال إن أسعدَتكم عصمتي فلقد أدركتكم رحمتي. وإيصال عصمتي بكم عنده وجودكم وتعلُّق رحمتي بهم في أزلي.
- ويقال: لئن كان مُحسِنُكم عتيق العصمة فإنّ مجرمَهُم غريق الرّحمة.
- ويقال: اتّكالهم عليَّ زكّى أحوالهم فألجأهم إلى الاعتراف بالجهالة حتى يتبرّأوا عن المعارف إلا بمقدار ما منّ به الحقّ عليهم فقالوا: ﴿سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لنا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾. ولمَّا توهّموا حصول تفضيلهم بتسبيحهم وتقديسهم عرَّفهم أنّ بِساط العزّ مقدّس عن التّجمّل بطاعة مطيع أو التّدنّس بزلّة جاحد عنيد، فَرَدُّهم إلى السّجود لآدم أَظهرَ الغنَاء عن كلّ وفاق وخلاف[1].

في السّيرة والشّمائل

كيف طبّق النّبيّ ﷺ قول الله تعالى: ﴿إِنِّي جاعِلٌ في الأرضِ خَلِيفَةً﴾:

عالميّة الدّعوة بإرسال سرايا إلى القبائل... وكُتُبٍ إلى المُلُوكِ...

أخذ رسول الله ﷺ يبعث السّرايا من أصحابه إلى مختلف قبائل الأعراب المنتشرة في الجزيرة العربيّة كما بعث كتبًا إلى مختلف ملوك ورؤساء العالم- خلال العام السّابع للهجرة، أي قبل الفتح- يدعوهم فيها إلى الإسلام ونبذ ما هم عليه من الأديان الباطلة. لماذا؟ لأنّ هذه مهمّتك أيّها الإنسان: أن تنشر دين الله في الأرض، في المال والجهد والوقت والعمل، وأن تنشر أسماء الله في الأكوان، وأن تعلّم عباد الله الأسماء والقرآن ومعانيَها والعقيدة التي في القرآن، والأخلاق والآداب التي في القرآن، والأمر والنهي، كما أنَّهُ يُحِبّ الله منك أن تكون ممّن قيل فيهم. "**خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه**". الخليفة هو الذي يتعرّف على أسماء الله ويتعلّق بها ويتخلّق بها ويعلّمها، فعندما جعلك في الأرض خليفة، ليس لتحكم الأرض...

لقد أنجز رسول الله ﷺ في هذه المرحلة دعوة ربّه، فأصبحت- عملية وقولية- حكمًا شرعيًّا باتّفاق المسلمين في كلّ عصر إلى يوم القيامة، وهي المرحلة التي يحاول محترفو الغزو الفكريّ أن يطمسوا معالمها ويغيّبوها عن أعين المسلمين، بزعم أنّ كل ما يتعلّق بالجهاد في الشّريعة الإسلاميّة إنّما هو قائم على أساس الحرب الدّفاعيّة وردّ العدوان، وها هي ذي هيئة الأمم إذا صَدَقَتْ فيما تَدَّعي وتدعو إليه قامت لتتولّى الدّفاع وردّ العدوان عن المستضعفين، فلا حاجة عِنْدئِذٍ إلى استبقاء مبدأ الحرب الدّفاعيّة أيضًا.

(١) الإمام القشيري.

حكمة مشروعيّة الدّعوة:

لقد خُلِقَ الإنسان فوق هذه الأرض ليقيم عليها دولة الله تعالى وحكمه، فتلك هي حكمة وجوده وهي المعنى المقصود بالخلافة في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴿٣٠﴾﴾

ففلسفة دولة الإسلام قائمة على حقيقة العبوديّة لله تعالى وحده على عكس دولة الدّجال القائمة على الأنويّة - الأنا-، ونظام دولة الإسلام قائم على الإذعان بأنّ الحاكميّة لله وحده، لأنّه وحده مالك الإنسان ومالك كلّ شيء فهو وحده قيّوم السّموات والأرض.

فكيف يعقل أن يكون لدولة يقوم عليها عبيد مملوكون لله، حقّ إلزام رعاياهم بالخضوع لما يرونه لهم من النّظم والمبادئ والأحكام، ثمّ لا يكون لخالق هؤلاء كلّهم الحقّ في أن يلزمهم بالخضوع لسلطانه والتّحول عن كلّ عقيدة ودين إلى دينه؟!

- ثمّ إنّ في قصّة الكتب التي أرسلها ﷺ إلى الملوك والرؤساء دلالات وأحكامًا كثيرة نجملها فيما يلي:

أنّ الدّعوة التي بعث بها رسول الله ﷺ، إنّما بعث بها إلى النّاس كافّة، لا إلى قوم بأعيانهم، وأنّ رسالته إنّما هي إنسانيّة شاملة ليس لها طابع عنصريّة أو قوميّة أو جماعة معينة، ولذلك اتّجه ﷺ بدعوته يبلغها إلى كلّ حكّام الأرض وملوكها، فعن أنس رضي الله عنه: **"أَنّ النّبيّ ﷺ كَتَبَ إِلى كِسْرَى وَإِلى قَيْصَرَ وَإِلى النَّجَاشِيّ وَإِلى كُلِّ جَبَّارٍ، يَدْعُوهُمْ إِلى اللهِ تَعَالَى"**[1].

- ويدلّ عمله ﷺ على أنّه ينبغي على المسلمين أن يهيّئوا للدّعوة الإسلاميّة في كلّ أرجاء الأرض وسائلها وأسبابها، ومن أهمّ وسائل ذلك، المعرفة بلغة الأمم والأقوام الذين يقومون بدعوتهم إلى الإسلام، وتعريفهم بمبادئه وأحكامه وأسمائه تعالى - تعلّقًا وتخلّقًا - وتجلّياتها في كلّ شيء. فقد بعث رسول الله ﷺ ستّة رجال من أصحابه في يوم واحد ليتفرّقوا إلى الملوك الذين أرسلهم إليهم، وكان كلّ واحد منهم يتقن لغة القوم الذين بعثه ﷺ إليهم.
- كما يدلّ عمله ﷺ مع ملاحظة التّوقيت الذي جاء فيه أنّه على المسلمين أن يقوموا أوّلًا بمسؤولية الدّعوة فيما بينهم، وأن يصلحوا من أنفسهم، ويتعرّفوا إلى الله حتّى إذا قطعوا من ذلك شوطًا كبيرًا، وفرغوا من تطبيق نظام الإسلام على حياتهم وسلوكهم، آن لهم حينئذٍ أن يقوموا بهذا الواجب الثّاني.

في الإعجاز العلميّ

في أشراط السّاعة

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ * وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[2].

كما جعل ربّنا في الأرض الخليفة الأول (سيدنا آدم عليه السلام)، فإنّ الدّنيا لن تزول حتّى يأتي خليفة من بني سيّدنا آدم اسمه محمّد بن عبد الله- سيّدنا المهديّ- ينشر دين الله في العالم، فيعمّ الإسلام الأرض ثمّ يأتي سيّدنا عيسى عليه السلام ليكمل ما بدأه

(١) رواه مسلم في صحيحه، عن أنس رضي الله عنه، كتاب: الجهاد والسير، باب: كتب النّبيّ ﷺ إلى ملوك الكفار، حديث رقم: ١٦٦٤.
(٢) سورة الصفّ، الآيات: ٦- ٩.

المهديّ عليه السلام حتّى يكون أكثر من على الأرض من المسلمين المؤمنين الأتقياء، ويعمّ السّلام ويكثر الخير وتحلّ البركة.

في الأدعية والأذكار

- ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[1].

- **صَلاةُ الأَسْماء**

بسم الله الرّحمن الرّحيم: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾[2]

يا الله، يا رحمنُ يا رحيمُ، يا ربُّ يا مالكُ، يا حيُّ يا قيّوم، يا عليُّ يا عظيم، أسألُك بكلِّ اسمٍ هو لكَ، سمّيتَ به نفسَك، أَوْ أَنْزَلْتَهُ في كِتَابِكَ، أو عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أو اسْتَأْثَرْتَ بِهِ في عِلمِ الغَيْبِ عندك، يا مَن: **﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾**.

الرَّحْمَنُ، الرَّحيمُ، المَلِكُ، القُدّوسُ، السَّلامُ، المُؤْمِنُ، المُهَيْمِنُ، العزيزُ، الجَبّارُ، المُتَكَبِّرُ، الخالِقُ، البارِئُ، المُصَوِّرُ، الغَفّارُ، القَهّارُ، الوَهّابُ، الرَّزّاقُ، الفَتّاحُ، العَليمُ، القابِضُ، الباسِطُ، الخافِضُ، الرّافِعُ، المُعِزُّ، المُذِلُّ، السَّميعُ، البَصيرُ، الحَكَمُ، العَدْلُ، اللطيفُ، الخَبيرُ، الحَليمُ، العَظيمُ، الغَفورُ، الشَّكورُ، العَليُّ، الكَبيرُ، الحَفيظُ، المُقيتُ، الحَسيبُ، الجَليلُ، الكَريمُ، الرَّقيبُ، المُجيبُ، الواسِعُ، الحَكيمُ، الوَدودُ، المَجيدُ، الباعِثُ، الشَّهيدُ، الحَقُّ، الوَكيلُ، القَوِيُّ، المَتينُ، الوَلِيُّ، الحَميدُ، المُحْصي، المُبْدِئُ، المُعيدُ، المُحْيي، المُميتُ، الحَيُّ، القَيُّومُ، الواجِدُ، الماجِدُ، الواحِدُ، الأحَدُ، الصَّمَدُ، القادِرُ، المُقْتَدِرُ، المُقَدِّمُ، المُؤَخِّرُ، الأَوَّلُ، الآخِرُ، الظاهِرُ، الباطِنُ، الوالي، المُتَعالي، البَرُّ، التَّوّابُ، المُنْتَقِمُ، العَفُوُّ، الرَّؤوفُ، مالِكُ المُلكِ ذو الجَلالِ والإكرامِ، المُقْسِطُ، الجامِعُ، الغَنِيُّ، المُغْني، المانِعُ، الضّارُّ، النّافِعُ، النُّورُ، الهادي، البَديعُ، الباقي، الوارِثُ، الرَّشيدُ، الصَّبورُ.

أن تُصَلّيَ وتُسَلِّمَ على سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ، أكْمَلِ مخلوقاتك، وسَيِّدِ أهْلِ أرْضِكَ وأهْلِ سَماواتِكَ، صَلاةً تَليقُ بك مِنْكَ إليه صَلاةً تُخَلِّقُني وتُحَقِّقُني بأسمائك، وتَرْزُقُني الفناءَ في ذاتِكَ وصِفاتِك، مع رضوانِك ومُعافاتِك، وعلى آله وصحبه، عدد أسمائِك وصفاتِك، وكمالِ ذاتِك. ولك الحمدُ يا ربِّ، حمْدَ جَميعِ أوْلِيائِكَ وأنْبِيائِكَ، ولكَ الشُّكرُ على جميع آلائِك.

(١) سورة طه، الآية: ١١٤.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.